كلية : الآداب

قسم : اللغة العربية

المرحلة : ألـثانـية

استاذ المادة : وليد سامي خليل سبع

اسم المادة باللغة العربية : الأدب الإسلامي

اسم المادة باللغة الانكليزية: Islamic literature

اسم المحاضرة الثانية باللغة العربية : الرثاء

اسم المحاضرة الثانية باللغة الانكليزية: lamentation

ج- الـرثـــاء:-

هو بكاء الميت و تعداد حسناته و خصائله.

وهو من الاغراض التقليدية في الشعر العربي لأنه مرتبط بالنفس الانسانية.

مما جعل الشعراء يبكون على موتاهم شعراً ، إلا أن هذا البكاء فيه جانبان:-

*تسجيل مشاعر ألراثي و اظهار لوعة حزنه وفجيعته.

*بيان مكانة ألمرثي وتأبينه ، أي ذكر خصال الخير التي عرف بها في زمانه.

*فالرثاء يصور عناصر الخير و المثل العليا في المجتمع ، فهو مثل المديح ، إلا أنه يخص ممدوحاً غائباً عن الوجود وهو ألمرثي.

*ففي جانب إظهار اللوعة و الفجيعة فقد تطور الرثاء عند شعراء الدعوة الاسلامية ، اذ تختفي معالم الحزن واليأس ، فقد يشير الشعراء الراثون ان هؤلاء الشهداء ما فقدوا الحياة الدنيا الا لينعموا بالحياة الآخرة حيث ثواب الله للشهداء في الجنة. فقد كان الشعراء

يتخذون من استشهاد المسلمين مادة ينطلقون منها لتثبيت نفوس المؤمنين على الايمان.

فهذا حسان بن ثابت يرثي حمزة بن عبد المطلب وقد قدمت ابنته تسأل عنه فيجيبها بتأبين القتيل وذكر خصاله ، اذ يقول:

تسائل عن قرم هجان سميدع لدى البأس مغوار الصباح حسور
أخي ثقه يهتز العرف والندى بعيد المدى في النائبات صبـــور

*و اذا كان تعداد هذه الصفات على طريقة عرب ما قبل الاسلام ، إلا انها مُثل عليا للرجولة والبطولة.

ولكن حسان يوظف في أبياته الاثر الاسلامي في شعره حين يذكر بنت حمزة بأن استشهاد أبيها كان في سبيل الله. اذ يقول:

فقلت لها ان الشهادة راحـــة ورضوان رب بأمام غفـور
فإن أباك الخير حمزة فأعلمي وزير رسول الله خير وزير

*وبعد ان يصف المرثي بالصفات الاسلامية يعود الى اظهار حزنه وألمه لفراقه و لكنه حزن مقترن بالاستشهاد و الشهادة. اذ يقول:

فو الله ما انساك ما هبت الصبـــا و لأبكين في محضري ومسيري
على: اسد الله الذي كان مدرها يذود عن الاسلام كل كفــور

*ويقارن كعب بن مالك بين قتلى المشركين وقتلى المسلمين مقارنة قائمة على العقيدة الاسلامية ويذكرهم بقتلاهم الذين قتلهم المسلمين ببدر ، اذ يقول:

شتان من هو في جهنم ثاوياً أبدا و من هو في الجنان مخلد

*و تتكرر عناصر الرثاء الاسلامي ، فقد ورد في معظم هذه المراثي ذكر صفات النبي محمد(صلى الله عليه وسلم)الخلقية الزاكية و تأكيد حزن الشاعر وألمه لفقد الرسول .

وكان فراق الرسول هو الذي يدعوهم الى البكاء. فالشاعر عبدالله بن أنيس يقول في ذلك:

ولكنني باكٍ عليه ومتبع مصيبته أني الى الله راجع

*أما حسان بن ثابت فإنه يقف عل الديار ويبكي الآثار ولكن اي ديار واي آثار أهي ديار الجاهلية وآثار الحبيبة ، لا إنها ديار الرسول (صلى الله عليه وسلم) وآثاره التي تظهر أمام عيني الشاعر في كل درب وزاوية من المدينة المنورة.

إنه يبكي آثار النبوة الباقية و المتمثلة بالمسجد النبوي الذي كان يجلس فيه النبي ، اذ يقول:

بطيبة رسم للرسول ومعهـــد منير وقد تعفو الرسول وتهمـد
و لا تنمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد

*هذه القيم الاسلامية التي دخلت في الرثاء تستمر في قصائد الشعراء في عصر صدر الاسلام والعصر الاموي ولكن نسبة ورودها تختلف بإختلاف الشاعر و اختلاف ألمرثي فتتجلى هذه العناصر كلما كان المرثي مرتبطاً بحدث سياسي أو ديني.

وتختلف هذه العناصر في بعض القصائد اذا كان الشاعر يرثي شخصاً قل ارتباطه بالعناصر التي كونت المجتمع العربي.

*اما مراثي الشعراء للخلفاء الراشدين فإنها تدور حول المعاني الاسلامية و الصفات الخلقية التي يتسمون بها وتقترن بصفات اسلامية: أمر القرآن الكريم بالتحلي بها. فالأبيات التي قيلت في رثاء الخليفة عمر بن الخطاب تؤبنه من خلال وصفه بالأمام وسيرته العدل والتقى و الحكم بين الناس بسنة الدين القويم:

جزى الله خيراً من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممـزق

قضيت اموراً ثم غادرت بعدهـا بوائق في أكمامها لم تـمـزق

وكنت تشوب العدل بالبر والتقى وحكم صليت الدين غير مروق

*و تجسد معاني جديدة في رثاء عثمان بن عفان عندما وصفه الشعراء بالشهيد وذكر جهاده مع شيخوخته. اذ يقول تميم بن مقبل:

ليبكوا على خير البرية كلها تخونه ريب من الدهر معطب

*ويرثي ابو الاسود الدؤلي الامام علي بن ابي طالب ويبكيه من خلال صفات الايمان و الاسلام فهو امير المؤمنين و أقرب الناس الى النبي الذي أقام الحق ، فقتله الخوارج في شهر الصيام:

ألا يا عين ويحك أسعدينـــا ألا تبكي أمير المؤمنينا

وتبكي أم كلثوم عليـــــــه بعبرتها وقد رأت اليقينا

ألا قل للخوارج حيث كانوا فلا قرت عيون الحاسدينا

*أما شعراء الخوارج فكان شعرهم يمثل حياتهم و اندفاعهم في القتال وكأنهم نصبوا انفسهم للموت طلباً لرضى الله و ثوابه وكأن كل من يقاتلونه خارج على الاسلام.

*وتتكرر هذه ألمراثي في قتلى الخوارج ، ونجد مثيلاً لها في رثاء الشعراء للحسين و أنصاره اذ أوردوا في قصائدهم كل القيم الاسلامية التي تقال في ميدان الجهاد و الشهادة.

إلا انها اتسمت بالحزن العميق ولوعة الثأر و تأمل من يقوم بالمطالبة بحق آل البيت وهذه سمة ميزتهم عن رثاء شعراء الخوارج.

*ان ما يشغلنا في شعر الخوارج هو شعر الرثاء-لأنها تصور حياتهم وتفكيرهم وحماسهم.

*ولقد اتخذ الخوارج طريق الحرب و الجهاد والمعارضة للسلطة ، وكانوا يتنافسون في القتال و الحرب و الاستبسال وتمني الشهادة.

*يظهر ادبهم صدق مشاعرهم و قوة ايمانهم و التزامهم بمبادئ الاسلام ، وكذلك صورت اشعارهم صدق مواقفهم ، وقوة عقيدتهم التي تذكرنا بشعر الجهاد و العقيدة ايام الدعوة الاسلامية.

*ان اهم ميزة من ميزات اشعار الخوارج هي انه شعر جماعة تكاد الروح السائدة فيه ان تكون متشابهة مصورة لجماعة خاشعة تتمنى الشهادة في سبيل الله.

*انه شعر بطولة جماعية صور فيه الشعراء بسالة الفرسان.

*رثاء شعر الخوارج رثاء عقيدة لا تجد الراثي فيه باكياً فراق المرثي.

*لا نجد في رثاء الخوارج دموعاً باكية على مصير المرثي بل تحس بفرحة الشهادة و الثواب.

قال عمرو بن الحصين يرثي ابا حمزة الشاري(هو رئيس فرقة من الخوارج):-

1-هبت قبيل تبلج الفجـــــــــر هند تقل ودمعها يجـــــــري

2-إن ابصرت عيني مدامعهـــا ينهل واكفها على الدهـــــــر
(الواكف:الدمع السائل)

3-أنى اعتراك وكنت عهدي لا سرب الدموع وكنت ذا صبر

4-أقذى بعينك ما يفارقـــــــا ام عائر ام مالها تـــــــذري
(القذى-مايسقط من العين)

5-ام ذكر اخوان فجعت بهـــم سلكوا سبيلهم على خبـــــر
(العائر-الدمع)

6-فأجبتها بل ذكر مصرعهـــم لا غيره عبراتها تمـــــــري
(تمري-تسيل)

7-يا رب اسلكني سبيلهـــــــم ذا العرش و اشدد بالتقى ازري

8-في فتية صبروا نفوسهـــــم للمشرفية والقنا السمـــــــــر
(المشرفية-سيول منسوبة الى مشارف وهي قرى من ارض العرب)

ملاحظة/ لمن يرغب بحفظ المزيد عليه مراجعة ص237 وما بعدها من كتاب د.إبتسام مرهون الصفار.